تراثنا

الإسفار الغريب
نتيجة السفر القريب

للإمام العارف بالله
عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي



٧ ش الباب الأخضر المشهد الحسيني
القاهرة ت : ٩٣٦٠٨٠

تراثنا

الإسفار الغريب
نتيجة السفر القريب

للإمام العارف بالله
عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي



٧ ش الباب الأخضر المشهد الحسيني
القاهرة ت : ٩٣٦٠٠٨

رسالة « الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب » تقع تحت رقم ١٧٨ مجاميع بدار الكتب المصرية وهى رسالة يتيمة للإمام عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى صاحب كتاب الإنسان الكامل وجدنا عند تحقيقها نصبا وفى ضبط نصوصها حيرة وجهدا ، فهى رديئة الخط متداخلة السطور ، وليس هناك نسخة أخرى غيرها ، وهى الوحيدة على ما اعتقد فى مكتبات العالم وهى تنتحى ناحية السفر الوجدانى إلى مدارج الحقيقة الروحية ، وبعبارة أوضح . معارج النفس البشرية عند صفاتها بالمجاهدات والأذكار ، وتوجهها من ضيق النفس إلى فضاء الروح ، بعد التخلى عن الأوصاف الذميمة ، والتحلى بأضدادها وهى الصفات الحميدة ، لتشهد بعض العجائب المكنونة والأسرار المخـــزونة فى صدفة البشرية ، وتفهم معنى محض تفضل الله ولطفه وإكرامه لهذا النوع الإنسانى ، حيث يسر له الترقى إلى منازل الفهم عنه سبحانه وتعالى ، وجعله قابلا للخلافة الكبرى والسلطنة العظمى ، وقد كان آدم عليه السلام أبو البشر ، قبلة الملائكة ومعلمهم الأسماء وخليفة الله فى أرضه ، وهذا حرى بالإنسان أن يعرف سياسة النفس لأن ذلك يؤدى إلى معرفه الرب والوصول إلى حضرة القدس ، بعد رفع الالتباس والاشكال عنه ، فيعرف معنى الوصل والوصول والوصال والاتصال . قال عليه الصلاة والسلام « من عرف نفسه فقد عرف

ربه ، أى بأن تعرف النفس نفسها بذلها وعجزها فتعرف ربها باتصافه بكل كمال ، وبقدرته على جميع الأفعال بها وبغيرها ، وتلاحظ صفاتها فى العالم الحسى وعالمها الروحانى القدسى ، فتميل إلى مقامها الذاتى بترك كل فان ، حتى تتجرد عن الأوصاف الجسمانية الخسيسة ، وتتصف بأوصافها الروحانية الحميدة ، فحجاب النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية ، فحينئذ لابد لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربه ، أن يجرد نفسه من التعلق فحينئذ لابد لمن أراد أن يعرف نفسه من التعلق بالقوى البدنية ، والتقيد بالحواس الجسمانيه ، وليس معنى هذا أن يكون سلبيا فى وجوده ، وإنما يلطف نفسه بالعبادات ، ويخفف جسمه بالرياضيات ، ويلازم الورع فى فى جميع أعماله ، لقول النبى عليه الصلاة والسلام « لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، وأجريتم من أعينكم الدموع مثل الأنهار فما ينفعكم ذلك إلا بالورع . وهو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات فقليل من الورع يجزى عن كثير من من العمل » .

وعند ذلك يسافر العارف من كونه إلى مكونه ، ويريه ربه صور المعلومات التى صيرها أعيانا محسوسات مشهودة بمعانيها

المختلفات ، وكما يقول الجيلى رضى الله عنه : فإنى أذكر فى هذه الرسالة سفرا وجدته وجدانا . وسافرت إليه زمانا ، وشهدته عيانا ، وكنت أغار عليه منى واستره إلى عنى ، لأنه إسفرار عزيز ، وسفر وجيز ، إلى آخر مافى الرسالة التى سترى فيها حديثنا عن عالم الأرواح والروحانيات وهو مايسمى بعالم الغيب ، وهو غير عالم الخلق وعالم الملك والشهادة ، الذى هو عالم الأجسام والجسمانيات .

رسالة الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على أشرف خلقك سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ؛ وجعله نسخة كاملة ، محتويا على ما يحتوى عليه الفراش ، ونصبه دليلا عليه ، وطريقا سالكا إليه من أقرب طرق الامتنان ؛ حمداً يستدعى به المديد من مزيد العرفان وأشهد ألا لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة من شهد ما يقول شهادة عيان ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه . صلاة منه إليه بكل لسان فى كل أوان ، إذ هو ﷺ عن ربه ترجمان .

أما بعد : فإنى أذكر فى هذه الرسالة سفرا وجدته وجداناً . وسافرت إليه زمانا ، وشهدته عيانا ، وكنت أغار عليه منى ، واستره إلى عنى ، لأنه اسفرار عزيز ، وسفر وجيز ، فلما وقع لى كتاب « الإسفار من نتائج الأسفار » للشيخ الإمام الكامل المحقق الوارث شيخنا محى الدين بن العربى رضى الله عنه ، رأيته جمع فيه ، واستوعب جميع الأسفار العلوية والسفلية ، وذكر فيه سفر الأنبياء عليهم السلام ، وسفر الملائكة ، وسفر الأسماء

وسفر العوالم العلوية والسفلية ، ولم يترك شيئا إلا ذكره ، وأبدع ذلك وأجاد ، ووجدت السفر الذى ذكرته آنفا ووجدته وشهدته قد ذكره الشيخ محى الدين رضى الله عنه ، إلا أنه مستور فى كلام مرموز مفرق ، وعلمت أن ذلك غيرة منه عليه ، لعزته ورفعته ومكانته ، فاستخرت الله عز وجل فى تقييده وإبرازه ؛ مفرداً مشهوداً فى هذه الرسالة لينتفع به أحبابنا وإخواننا أهل المشاهدة والتحقيق لقربه وبيانه وجمعه وهو سفر منك إليه ؛ وسميته رسالة « الإسفار الغريب نتيجة السفر القريب » إذ ليس هو بعيد منك ، ولا خارج عنك ، قد يسره الله عليك تيسيرا ، وجعله فى محكم كتابك مسطورا ، وبالله أستعين ، فهو المستعان وعليه التكلان ، وإليه يرجع الأمر كله .

إعلموا أحبابنا وإخواننا أهل طريق الله تعالى أن هذا السفر القريب ،قد أشار إليه على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فى أبيات وبالغ فى ذلك وهى :

دواك فيك وما تشعر وداءك منك وتستنكر
وأنت الكتاب المبين الذى بأحرفه قد طوى المضمر
فمالك فى خارج حاجة لعلمك فيه بمـــا مسطر

وتزعم إنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

ولتعلموا أحبابنا أن سالك هذا السفر ، يريد أن يتحقق ويستحضر لطائفة العلوية وحقائقه الخفية » وعوالمه السفلية البدنية ، فيستحضر لطيفته القلبية ، وهو عرش الرحمن ، ولطيفته الإنسانية وهو كرسيه الكريم ، لأن الأمر فى عرشه مجمل ، وفى كرسيه مفصل الأمر ، وسدرة المنتهى هى جميع صوره من لطيفة وكثيفه وعوالمه كلها ، فيستحضر أرض بدنه ، وما جعل الله فيه من حيث هو حيوان ونبات ، من قوته الجارية والهاضمة والماسكة والمدافعة والدامية والمعدية ، وكيف فتق طباقها السبعة ، من جلد ولحم وشحم ، وعروق وعصب ، وعضل وعظام ،وملخص استواء السر الآلهى السارى فيه من النفخ الروحى ، إلى العلوى من البدن ففتق فيه سبع سموات ، سماء الدنيا وهى الحس ، وزينها بالنجوم مثل العينين ، وسماء الخيال ، وسماء الفكر ، وسماء العقل وسماء الذكر ، وسماء الحفظ ، وسماء الوهم ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وجعل فى كل سماء من هذه السبع ، كوكبا فى مقابلة الكواكب السيارة ، وهى الحياة ، والسمع والبصر والقدرة ، والإرادة والعلم والكلام ، يشهد بذلك ، إلى كان . التى فى الإنسان ، فهذا سفراً أسفر عن محياه ، وأظهر مامنحه مولاه ، فإذا تحقق الإنسان بهذه الحقائق ،واستحضر هذه الطرائق سافر من

معدنه إلى نباته ، إلى حيوانيته إلى انسانيته ، إلى نفسه ، إلى عقله إلى روحه إلى سره ، إلى حقيقة حقيقته وكليته المطلقة ، فاذا وصل إلى هذه الحضرة بقى مستهلكا مستغرقا ، فانيا عن فنائه ، والفناء من صفته ، والبقاء من صفته ، وأنها من صفة حقيقة الحقائق ، فقامت حقيقته عنه بوظائفه وإليه الإشارة بقوله ﷺ « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل وأهلك عوالمك وحقائقك العلوية والسفلية ، وإلى هذا الموطن أشار الكامل المحقق بقوله « « كنت بلا كون لأنك كنته » . وإلى هذا الموطن أشار أهل الطريق بالبقاء بعد الفناء ، وفى هذا الموطن يصح قول القائل ، لا فاعل إلا الله . وإذ قالها قائل فى غير هذا الموطن ، يقولها قولا ، لا حقيقة ، ولما أقامنى الله تعالى فى هذا الموطن ، عملت بيتين وهما :

واللہ لولا أننى لكم بكم وفيكم أراكم كل ذلك منى
لذبت فنا والفنا صفتى بكم ولكنكم قمتم بوصف البقا عنى

وإلى هذا الموطن أشار الشيخ قطب الدين بن سبعين رضى الله عنه بقوله :

قل لمن طاف بكاسات الهوى وشرب خمرها حين وصل
ليس من موه بالوصل به مثل من سيرته حتى وصل
ولا من لوح بالوصل له كالذى سير به حتى وصل

لا ولا الوصل عندى كالذى طرق الباب وللدار دخل
لاولا الداخل عندى مثل من سار روه فهو للسر محل
لا ولا من سارروه كالذى صار اياهم فدع عنك العلل
فمحوه منـــه فامحـــا ثم لهـا أثبتوه لم يزل
ذاك شىء علق القلب به لو تجلى منـه للخلق قتل
كل فهراس تدانى نحوهـا كل لاغ ماله فيها محل
كل عبد ماله عنـه غنى أنـا عبد للمحبين ثمـل
يا حبيبى واسمها أعرفـه ليس بالعين أرادها بل أجل

ولما كانت هذه الحضرة وهذه المواطن ، بهذه العزة وهذه الرفعة ، حض الحق عليها خلقه ، أسوة بنبيه محمد ﷺ . إذ لما أقامه فى هذه الحضرة فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة ، وهو يعلم تبارك وتعالى ، أنهم لا يقدرون عليها ، لما أقامهم فيه من الحكم الآلهية والتدبير الربانى ، نخفف عنهم وجعلها خمسا فى اليوم لليلة ، وأمر فيها بالطهارة وهى أن تقول نويت رفع الحدث فإذا ارتفع الحدث نفى العدم ، الذى هو البقاء بالوضاءة الآلهية ،فقيل بلسان تلك الحضرة : سافر من ظاهرك إلى باطنك ثم قمت للصلاة ، فقلت الله أكبر تكبيرة الاحرام ، وهو أن تحرم فى مقامك بأمر باطنك وظاهرك . ثم تقرأ فاتحة الكتاب بلسان تلك الحضرة ،

فتفتح لك السماء الدنيا ، فتبصر ما أودع الله فيها من الأسرار ، ثم تركع فترفع إلى السماء الثانية ، فتبصر عجائبها وما فيها ثم ترفع فترفع إلى السماء الثالثة كذلك ، ثم تسجد فتصعد إلى السماء الرابعة ثم ترفع فترفع إلى السماء الخامسة وتسجد فترفع إلى السماء السادسة ثم ترفع فترفع إلى السماء السابعة ، فيلوح لك البيت المعمور ، فتقرأ فيه الفاتحة فى الركعة الثانية ، فإن التى قطعتها عوالمك الكونية فتستفتح من البيت المعمور إلى حقائقك المعنوية ، فتركع فى الركعة الثانية لتصل إلى سدرة المنتهى ثم ترفع فترفع إلى الكرسى ثم تسجد إلى العرش ثم ترفع لترفع إلى مشاهدة المستوى الرحمانى ثم تسجد إلى الرفرف ثم ترفع إلى المكان العالى ثم تسجد على باب حضرة البقاء ، وهو عالم الأمر ، فتسمع منك إليك . بلسان تلك الحضرة « التحيات لله » لأنك مستهلك فان وهو وصفك والبقاء لله . فذكرت بلسان البقاء « التحيات لله الزاكيات من الأعمال والطيبات من الأقوال ، والصلاة لله فخوطبت منك ، فقالت الرفيعة وهى تلك الحضرة «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فأجابت لطائفك العلوية ، وحقائقك المعنوية وعوالمك السفلية الترابية الكونية ، بلسان تلك الحضرة « أشهد أن لا إله إلا الله »

وحده لا شريك له « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . فقلت بلسان تلك الحضرة . اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد . فسكمل تشفرك وظهر إسفاره ، وكملت أسراره وأنواره ، فرجعت بلسان تلك الحضرة منك إليك ، فقلت السلام عليكم ورحمة الله . سلمت على عوالمك الحسية الظاهرة يمينا وشمالا بذلك اللسان ، ورجعت لتظهر الافعال والأقوال عليك ، والله هو الفاعل القائل وأنت مستغرق مستهلك ، كما قال الشيخ الكامل الوارث محى الدين بن عربى . رضى الله عنه ، فانها قد تلوح على ولى كمثل الرسم فى الثوب الموشى ، ولما علم رسول الله ﷺ علو هذه المواطن ، وسمو هذا الموطن ، وسمو هذا المقام ، وعلم أن الله تعالى طلبه من خواصه وأحبابه لانتمائهم إليه ، فان أهل هذا الموطن محمولون فيه موهوبون ، أراد صلى الله عليه وسلم ، استكثار أمته فيه ، فسن صلاة الفجر وصلاة الاشراق ، وصلاة الضحى وصلاة الزوال وقيل الصلوات الخمس ، وغيرها مما بين المغرب والعشاء ، وصلاة الوتر وصلاة الليل ، وصلاة العيدين ، ليعم هذا الموطن الكل من أمته وكذلك من شاء الله تعالى ، وذلك من شفقته بأمته واعتنائه بهم ، صلى الله عليه وسلم : والحمد لله يثبتنا الله وإياكم فى هذه المواطن الشريفة ، وأقامنا وإياكم بحقيقة هذه اللطيفة .

ولما تمت هذه الرسالة ، أردت أن ألحق بها أبياتا كنت قد عملتها من قبل هذه الرسالة ، لأنها فى معناها فدوتها على متنها وهى هذه .

قطع الكون ولم يدر السرا   وأنا تتبع الآثارا
مغرم فى حبه مستتر   فقد غدا الجيمان من بصرا
لا يرى الغير ولا يسمعه   ليشهد المحبوب فى كل الورا
نفتك الآثار عن عالمه   فتجلا فيه ما قد سترا
لم يكن قط حجاب لا ولا   كان جبريل وجود ظهرا

أطلعنا الله وإياكم على أسراره ، وغمرنا وإياكم بأنواره ، وجمعنا وإياكم فيه جمعا كاملا مكملا لأطواره إنه على كل شىء قدير ، وبالاجابة جدير . والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . استغفر الله من الخطأ والزلل ، ومن قول بلا عمل . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تمت الرسالة المنيفة الفائقة

وهى مشتراه من تركة حسن الشربتلى ٢٧ فبراير سنة ١٨٧٦

بعد ختام هذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة النفع ، يسرنى أيها القارىء الكريم أن أسوق إليك حديث عالم من العلماء الاعلام الذين اشتهروا بصفاء الذهن ، والعبقرية النادرة ، وكان ممن مدحوا التصوف وأخذوا أحاديث مدحهم بالروية والدقة فيما يصدرونه من قول فصل حيث يقول ابن خلدون فى هذا المعنى فى مقدمته : « للصوفية آداب مخصوصة بهم ، واصطلاحات فى ألفاظ تدوينهم ، إذ الأوضاع اللغوية إنما هى للمعانى المتعارفة ، فإذا عرض من المعانى ما هو غير متعارف ، اصطلحوا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منهم ، ولهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذى ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه » .

إلى أن يقول : ولما عنى المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا فى حقائق الموجودات العلوية والسفلية ، وحقائق الملك والروح والعرش والكرسى .. وقصرت مدارك من لم يشاركهم فى طريقتهم عن فهم أذواقهم ومواجيدهم فى ذلك ، وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم ، اهـ

والتصوف الإسلامى هو التدرب فى معارج المعرفة والإيمان . الحاصل من الترقى والطيران بجناحى العلم والعمل وتهذيب النفس بتحليها بالفضائل بعد تخليها عن الرذائل . حتى يحصل لها من الصفاء والتجرد ما تنال به نوعا من الدلالة ينتهى إلى ما هو اقوى من المشاهدة

والمعاينة . ويتكشف للسالك من اسرار العلوم والمعارف . وأنوار الحكم واللطايف . ما لم يخطر ببال ولا ألم بخيال .

وعن محمد بن حنيف قال : لو أن كل العلماء فى العصور المختلفة قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق لكفى أ هـ .

ومعنى ذلك أن الفقهاء وقد أخذوا بظواهر الشرع دون التعمق فى سبر أغوارها ، لم يصلوا إلى ماوصل إليه أهل الشريعة والحقيقة من العارفين وقد أخذوا أنفسهم وطالبوها بحقيقة الورع ومداومة الصـــدق .

فى هذا الكتاب مقومات التصور الإسلامى للجود الآلهى الذى لايزال يمن الله به علينا .

وكيفية انتصار المسلم المؤمن على المادية بالمثالية .

وحقيقة الصله بين الله والعالم . وإفاضة أنوار الذات الآلهية على الكائنات ليخرجها من الظلمات إلى النور .

وعالم الغيب وعالم الشهادة . ومعرفة أن العالم فقير إلى الله والله هو الغنى عن العالمين .

تجد فى هذا الكتاب .

تفاصيل رحلة الإنسان فى مسيرته السلوكية إلى الله . ومعراجه إلى معرفته والتفانى فى حبه .

كل القلوب البشرية بها فاقه لا يسدها إلا محبة الله . والإنابة إليه . ودوام ذكره وصدق الاخلاص له .

